خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٦/٧/١٠

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

كتب السيد شيخ يعقوب علي عرفاني رضي الله عنه، بصدد بيان سيرة المسيح الموعود عليه السلام أنه كان يوجد في حياته عليه السلام شأنٌ آخر من الجود والعطاء، يتمثل في الشفاعة. فقد كان يحدث أحيانًا أن يأتيه سائلٌ لا يكون تحقيق طلبه في مقدوره عليه السلام، بل يتعلق ذلك بغيره من الناس، وفي هذه الحالة كان عليه السلام يحرص على أن يتوسط لأجل منفعة هذا السائل عند أناسٍ آخرين، مع أنه لم يكن يطلب من هؤلاء الأشخاص أنفسهم شيئًا لحاجته الشخصية قط. أي أنه كان يُنجز حاجات الآخرين عن طريق شخصٍ ما، لكنه لم يكن يستعين بذلك الشخص لأجل حاجته الخاصة أبدًا. ويقول: وميزة الكرم والإخلاص هذه، قلّما يوجد مثلها في الدنيا.

ثم كتب وهو يتحدث عن مرزا إمام الدين، أنه ليس أمرًا خفيًا أن مرزا إمام الدين كان عدوًا شديدًا لهذه الجماعة، وكانت بينه وبين أسرة المسيح الموعود عليه السلام عداوة، لكن المسيح الموعود عليه السلام كان يتجاوز عن عداوته دائمًا فيما يتعلق بالأمور الدنيوية. أما فيما يتعلق بالدين فكان الأمر مختلفًا، إذ لم يكن يحتمل العداوة في أمر الدين، لكنه في الأمور الدنيوية لم يكن يُبالي بها قط. أي أنه لم يُفرّق في حسن معاملته له أبدًا، وكان هذا الرجل يأخذ أحيانًا مساعدة مالية من المسيح الموعود عليه السلام، ومع هذه الإحسانات كان يستمر في المعارضة، وهكذا كان عدوًا لدودًا.

مرة أرادَ أن يبيع فرسًا، فرأى لذلك أن أفضل فرصة هي أن يأخذ هذا الفرس إلى جامو، ويعرضه للبيع بواسطة حكيم الأمة المولوي نور الدين الخليفة الأول رضي الله عنه، لكي يحصل على ثمن جيد، إذ كانت للمولوي معرفة بالحكام والرؤساء هناك، فسيشترونه بشفاعته. وبناءً على هذا الرأي، طلب مرزا إمام الدين بنفسه من المسيح الموعود عليه السلام أن يكتب له رسالة توصية موجهة إلى المولوي نور الدين رضي الله عنه. فلم يرفض حضرته هذا الطلب، بل أعطاه دون أي تردد رسالة توصية باسم المولوي نور الدين رضي الله عنه. وهذه الرسالة كانت على

النحو التالي. وكتب السيد عرفاني أنه من الأمور الواضحة أن عداوة مرزا إمام الدين لم تكن أمرًا خفيًا، لكن كلما كانت هناك فرصة لحسن السلوك والإحسان، لم يخطر ببال المسيح الموعود عليه السلام قط عداوته، ولم يتردد مطلقا في إيصال النفع إليه.

أما الرسالة التي كتبها المسيح الموعود عليه السلام إلى المولوي نور الدين، فكانت كالتالي:

"بسم الله الرحمن الرحيم، نحمده ونصلي على رسوله الكريم

أما بعد: أخي الكريم السيد المولوي الحكيم نور الدين، سلّمه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. الهدف من كتابة هذه الرسالة هو أن أُكلفكم بأمر، وآمل ألا تدّخروا وسعًا في الاهتمام والسعي، (أي أؤكد تأكيدا شديدا) وهو أن السيد مرزا إمام الدين، وهو أحد أبناء عمومتي، لديه فرسٌ جيدٌ، حسن السير، يليق بأن يركبه الحكام والرؤساء. وهو الآن يريد بيعه، ولما كانت مثل هذه الخيول الغالية الثمن لا يستطيع شراءها عامة الناس، والرؤساء أنفسهم يبحثون عن مثل هذه الأشياء، فإني مكلّفكم أن تتفضلوا مشكورين بذكر الأمر عند رئيس جامو أو أحد إخوته، وأن تسعوا في أن يشتروا هذا الفرس بثمنٍ مناسب. فإن استقر عزمهم على الشراء، فسيُرسَل الفرس إليكم. ولا بد أن تُخبروني بعد بذل الجهد الكافي. (أيْ اجتهدوا كثيرًا في ذلك.)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

العبد المتواضع

مرزا غلام أحمد"

هذا الحادث يعود إلى عام ١٨٨٨م. في ذلك الوقت كانت عداوة مرزا إمام الدين قائمة، لكن حضرته لم يكن قد أعلن أخذ البيعة بعد. والمهم أن حضرته ساعد أخاه هذا المعادي له بهذه الطريقة أيضًا.

كتب السيد شيخ محمود نصيب رضي الله عنه: كنتُ في زمنٍ من الأزمنة أسكن بالإيجار في بيتٍ يملكه أحد النجارين السيخ، وهو قريبٌ من بيت مرزا نظام الدين، مسؤول الحارة. فحدث أن تشاجر صاحب البيت معي بلا مبرر حول أمرٍ ما، فطلب مني إخلاء البيت. فقلت له: ما دام العقد مكتوبًا على ورقة رسمية وقد تمّ الاتفاق، وأنا مستعد لدفع الإيجار المتأخر، فلن أُخلي البيت. فأراد صاحب البيت أن يستعين في هذا الأمر بمرزا نظام الدين، وكان يُرسل إليّ مرارًا رجل يُدعى خير الدين، وهو حارسٌ، وكان يستدعيني بواسطته، فكنت أحيانًا أذهب وأحيانًا لا أذهب. باختصار، كانوا يريدون تخويفي حتى أُخلي البيت، وأنا كنت أرفض الإخلاء.

عندئذٍ طلب مرزا نظام الدين الاستعانة بالسيد شيخ يعقوب علي، فقال له بأن يطلب مني إخلاء البيت. فقال لي السيد شيخ يعقوب علي: الأفضل أن تُخلي البيت. وفي تلك الأيام كانت بنتٌ قد وُلدت في بيتي، فكان تغيير البيت أمرًا صعبًا لي، فذكرتُ ذلك للمولوي نور الدين رضي الله عنه. فغضب المولوي من السيد

شيخ يعقوب علي، وكتب إليه: يجب أن تجد له بيتًا أولًا ثم تطلب منه أن يخلي هذا البيت. فسكت السيد شيخ تمامًا إزاء غضب المولوي ﷺ، واستمر مرزا نظام الدين في إلحاحه.

يقول: وأخيرًا في أحد الأيام كتبتُ الموقف كله إلى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، فحزن حضرته حزنًا شديدًا وقال: "لقد تألمتُ أشد الألم حين قرأت هذا. ولو كان عندي بيتٌ خالٍ لأعطيتُك إياه حتمًا، وسأهتم بهذا الأمر مستقبلًا". ثم قال: "اليوم حين آتي لصلاة الظهر، وإذا كان هناك السيد شيخ يعقوب علي موجودا فذكّرني بالأمر". وفي تلك الأيام كان يجري توسيع المسجد المبارك، وكانت الصلاة تُقام في البيت الذي صار فيما بعد بيتا للسيد مرزا بشير أحمد ﷺ. يقول: فلما ذهبتُ لصلاة الظهر، جاء حضرته، ولم أقل له شيئًا بعد، فما إن رآني حتى قال من تلقاء نفسه: "جاءت امرأةٌ من عند مرزا نظام الدين، وقد أرسلتُ إليه رسالة، فلن تُزعَجَ بعد الآن". فلم يقل لي أحدٌ بعد ذلك شيئًا، وبقيتُ في البيت مدةً طويلة، إلى أن أعطتني هيئة "صدر أنجمن أحمدية" سكنًا، فأخليتُ البيت حينها بعدما حصلتُ على السكن من الجماعة.

وأما تلك المرأة، فقد تغيّرت أحوالها كليًا حين علمت بهذا الإحسان الذي فعله المسيح الموعود عليه السلام، فصارت تقول: لن أدعك تذهب الآن، وبكت بكاءً شديدًا قائلة: لماذا تذهب؟ كانت معارضة لي في السابق أما الآن فبسبب إحسان المسيح الموعود عليه السلام لها تغيرت تمامًا.

كتب: كان هذا اللطف والإحسان من المسيح الموعود تجاه خادمٍ حقيرٍ مثلي، مع أنه لم يكن هناك أي تواصل أو تعامل بين حضرته وبين مرزا نظام الدين، ولا أي زيارة بينهما، والكل يعلم أن العلاقة كانت مقطوعة تمامًا، مع ذلك أحسن إلي حضرته هذا الإحسان.

يقول شيخ يعقوب علي عرفاني ﷺ:

أذكر أيضًا حادثا يتعلق بمرزا محمد بيك بن مرزا أحمد بيك الهوشياربوري. لم تكن علاقته عليه السلام مع عائلة مرزا محمد بيك جيدة، وكان توتر العلاقات معهم فقط لابتغاء مرضاة الله تعالى. كانت هذه أسرة أحمد بيك ومحمدي بيغم، وكانت بعيدة جدا عن الدين وشديدة المعارضة للجماعة الأحمدية. أراد مرزا محمد بيك أن يذهب إلى "جامون" للعمل، فطلب من المسيح الموعود عليه السلام أن يكتب رسالة يشفع له فيها إلى حكيم الأمة (المولوي نور الدين ﷺ). فكتب عليه السلام إليه رسالة الشفاعة فورًا، لأنه ما كان يردّ طلبًا مشروعًا. وجاء في الرسالة:

"الشاب محمد بيك ماثل أمامكم، ولعلكم تعلمون أيضا أن والده، مرزا أحمد بيك –بسبب قلة فهمه وغفلته– يكِنّ لي عداوة وبغضاء شديدتين، ومع ذلك، فلا بأس أن نقابل شدتهم باللين، امتثالًا لقول الله تعالى :﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وننال الثواب".

وكان عليه السلام يقول: "لماذا لا أنال هذا الثواب بالإحسان إليه، امتثالًا لأمر الله تعالى؟".

كما جاء في مضمون الرسالة: "وقد وصلتني رسائل عديدة من هذا الشاب، محمد بيك، يطلب فيها أن أتوسط له عندكم لتدبروا له الوظيفة في دائرة الشرطة". وبعد هذه الرسالة دبّر المولوي نور الدين ﷺ له الوظيفة في الشرطة.

يتضح من هذه الوقائع أن المسيح الموعود عليه السلام كان مستعدًا دائمًا لخدمة الناس والإحسان إليهم بكل وسيلة ممكنة، ولم يكن يبخل أبدًا في الجُود والسخاء أو الشفاعة والتوصية. ومع ذلك، إذا رأى أن العطاء قد يدخل في الإسراف، فكان يمتنع عنه، لأن الإسراف غير محمود.

ويكتب الشيخ يعقوب علي ﷺ أيضًا:

كان في قاديان رجل يُدعى نهال تشند، وكان الناس يسمونه "نهاله". وكان من فئة البراهمن، وفي شبابه كان هندوسيًا، وكان معروفا برفع القضايا في المحاكم. وظل على هذه الحال حتى آخر عمره تقريبا، وكان من الذين اعتادوا معاداة أسرة المسيح الموعود عليه السلام وإثارة المشاكل لهم، كما كان يجالس أعداء الجماعة.

وفي أواخر حياته ساءت حالته المالية جدًا، حتى أنه كان أحيانًا يواجه المشاكل في توفير احتياجاته اليومية الأساسية، وأصبح الحصول على الطعام والشراب أمرًا عسيرًا بالنسبة له.

وفي إحدى المرات جاء إلى باب المسيح الموعود عليه السلام وطلب الإذن للقائه، وأُبلغ حضرته بذلك. ورغم أنه كان من خصومه عليه السلام (إن هؤلاء الناس لا يستحيون في مثل هذه الأمور، فجاء إلى باب حضرته عليه السلام طالبا اللقاء)، فخرج إليه المسيح الموعود عليه السلام على الفور.

سلّم الرجل، ثم بدأ يشرح حاله. فلم يكتف حضرته بمواساته فقط، بل أعطاه أيضا خمسةً وعشرين روبية ووضعها في يده، وقال له:

"اقضِ حاجتك بهذا المبلغ في الوقت الحالي، وإذا احتجتَ شيئا آخر فأخبرني".

ومنذ ذلك الحين أصبح من عادة هذا الشخص أن يأتي بعد كل شهر أو شهرين، فيأخذ من المسيح الموعود عليه السلام مبلغًا لا بأس به لسد حاجاته.

ولم يكن يأخذ المال من المسيح الموعود عليه السلام فقط، بل كان قد اقترض مبلغًا لا بأس به من الخليفة الأول ﷺ أيضا، على أن يرده في موعد معين. فلما انقضى الموعد، طلب الخليفة الأول ﷺ منه سداد الدَّين، لكنه ظل يماطل ويجيب إجابات عابرة.

ثم طلب الخليفة الأول ﷺ من الراوي أن يطالبه بتسديد الدَّين. فلما كلّمتُه بهذا الشأن، سرد القصة السابقة وقال:

إن مولوي نور الدين يرسل إليّ مرارًا من يطالبني بتسديد الدين، أما حضرة المرزا فإنه يعطيني المال دائمًا، ومنه أعيش.

فلما نقلتُ هذا الكلام إلى الخليفة الأول ﷺ، قال: حسنًا، لا تطالبه بعد الآن.

ومنذ ذلك الحين لم يطالب الخليفة الأول ﷺ باستعادة الدَّين.

كذلك كان هناك شخص يُدعى الباندیت بیج ناث، وقد ذكر الراوي أنه يعلم أن المسيح الموعود عليه السلام أحسن إليه في بعض المناسبات، رغم أن الرجل لم يكن حسن السلوك معه.

يقول ميرزا بشير أحمد ﷺ إن القس والتر م. أ.، الذي كان سكرتيرًا للجمعية: (YMCA)، ألّف كتابًا باللغة الإنجليزية بعنوان (Ahmadiyya Movement) كتب فيه عن المسيح الموعود عليه السلام ما يلي:

لقد ثبت من جميع الوجوه أن حضرة الميرزا كان في عاداته الشخصية بسيطًا، ويتصف بروح الكرم والسخاء. وإن الشجاعة الأخلاقية التي أظهرها في مواجهة المعارضة الشديدة والأذى الذي لقيه من خصومه تستحق الإشادة حقًا. لا يستطيع أن يكسب صداقة الناس وإخلاصهم، إلى حدٍّ يدفع بعضهم إلى التضحية بحياتهم من أجل معتقدهم- وقد استُشهد اثنان منهم في أفغانستان بسبب معتقداتهما- إلا شخص يتمتع بجاذبية قوية وأخلاق رفيعة.

يقول المؤلف: إن تمسكهما بالجماعة وعدم تخليهما عن المسيح الموعود عليه السلام كان نتيجة لتأثرهما العميق بشخصيته وسلوكه.

يضيف القس والتر: سألتُ عددًا من الأحمديين القدامى عن السبب الذي دفعهم إلى اعتناق الأحمدية، فقال أكثرهم إن السبب الأكبر هو التأثير الشخصي لحضرة المرزا المحترم، وجاذبية شخصيته التي كانت تستميل القلوب.

وكان المسيح الموعود عليه السلام يقول أيضًا في المجالس العامة:

"أنا مستعد حتى لتحمل نفقات خصومي إذا جاؤوا إليّ سائلين إزالة شبهاتهم".

وفي هذا الشأن يروي ميرزا بشير أحمد ﷺ أن میاں فخر الدين صاحب الملتاني أخبره:

في عهد المسيح الموعود عليه السلام جاء والدي إلى قاديان. وكان من أشد المعارضين، وبذيء اللسان. وبعد وصوله قاديان أيضا كان يتحدث بلهجة حادة. وكان يقول حين كان في ملتان: إذا التقيت بمرزا يومًا فسألعنه (والعياذ بالله) في وجهه وسأقول له مباشرة ما أقوله عنه في غيابه.

ويتابع الراوي: أخذته إلى المسيح الموعود عليه السلام. فلما خرج حضرته، وقف والدي بكل احترام، ثم تراجع وجلس في خوف وهيبة. وكان في المجلس أناس آخرون أيضا.

فبدأ المسيح الموعود عليه السلام يتحدث دون أن يسأله أحد شيئًا، وقال:

"كثيرًا ما نتمنى أن يأتي الناس إلينا، فيستمعوا إلى كلامنا، ويسألونا عما أشكل عليهم. ونحن مستعدون حتى لتحمل نفقاتهم. ولكن الناس في الغالب لا يأتون، وإن جاؤوا يجلسون صامتين، ثم يخرجون ويتحدثون من وراء ظهرنا".

ثم ظل عليه السلام يشرح الأمور ويبلغهم دعوته بكل وضوح، وكان يحث الحاضرين مرارًا على طرح أسئلتهم والتحدث بحرية.

ويقول الراوي: إن والدي كان ذرب اللسان وسريع الجواب، ولكنه (في أثناء مثوله أمام المسيح الموعود عليه السلام) لم يستطع أن ينطق بكلمة واحدة كأن لسانه خُتم عليه.

وبعد انتهاء المجلس، سأله ابنه: لماذا لم تتكلم هناك؟ لكنه تهرب من الإجابة، إذ لم يطِق جوابا.

يقول ميانْ فخر الدين: لم يوجّه المسيح الموعود عليه السلام كلامه إلى والدي بوجه خاص، بل كان يخاطب الحاضرين جميعًا خطابًا عامًا. (ميان فخر الدين هذا أيضا ترك الجماعة لسوء حظه في عهد الخليفة الثاني).

وقد روى ميرزا بشير أحمد عليه السلام رواية أخرى، وقال:

إن صفية بيغم، ابنة المرحوم مولوي عبد القادر اللدهيانوي- وهي معلَّمة في مدرسة "النصرة" الثانوية للبنات- أخبرته قائلة: في إحدى المرات وقف أحد الفقراء عند النافذة يطلب قميصًا. فخلع حضرته عليه السلام قميصه فأعطاه السائل، كان والدي المرحوم يراه فقال: الله الله ما أعظمه من سخاء وكرم.

يقول حضرة مرزا ميان بشير أحمد رضي الله عنه إن رسول بي بي زوجة المرحوم الحافظ حامد علي وحماة المولوي عبد الرحمن الفاضل جتّ، قالت إن حضرته عليه السلام كان يقدم لهم نفقات البيت كلها للطعام واللباس، مرة خاط حضرته سترة لنفسه وأخرى للحافظ حامد علي، فكانتا متماثلتين، وكان الطقس باردا فقلت للحافظ المحترم حين أستيقظ صباحا باكرا لإعداد الفطور للتسحر أشعر بالبرد، فأعطاني الحافظ سترته الدافئة التي كان حضرته قد أعطاه إياها لألبسها، وبينما كنت أُشعل النار في الموقد لابسة إياها، جاءني حضرته عليه السلام وقال لي مزاحا: "رسول بي بي، هل سرقتِ سترتي؟ قلت يا سيدي كل شيء عندنا لك، نأخذ منك ما نأكل ونلبس، فتبسم وقال كلوا واشربوا جيدا".

يقول حضرة شيخ يعقوب علي إنه كان من دأب حضرته أنه كلما أعطى أحدهم شيئا فلم يكن بدافع الرياء، بل كان ابتغاء مرضاة الله فحسب وشفقةً على خلق الله، لذا كان عادةً يعطي بطرق خفية جدا، وأحيانا كان يفعل ذلك علنا أيضا لحثّ الآخرين على ذلك وتعليمهم بعمله. أما في العطاء السري فكان يقدمه بأسلوب حتى كان المستلم أيضا يعرف ذلك بصعوبة. في هذا الخصوص أذكر حادثا، وهو أن منشي محمد نصيب الذي قد انقطع الآن عن قاديان، كان قد جاء قاديان يتيما ودرس في قاديان بناء على كرم حضرته عليه السلام وكانت الجماعة تتحمل جميع نفقاته وحاجاته، وحين صار شابا وتزوج توظف في مكتب إحدى الجرائد في لاهور، ثم جاء قاديان وتوظف في مكتب جريدة بدر مقابل راتب شهري ١٢ روبية. وحين وهب الله سبحانه وتعالى سيدَنا الخليفة الثاني بِكر أولاده نصير أحمد، وهو مات لاحقا، احتاج المسيح الموعود عليه السلام لمربية للمرحوم نصير، فحثت شيخ محمد نصيب على أن يعرض على حضرته خدمات زوجته، فهي فرصة لجمع الحسنيين، أي العمل الذي يتمتع به الإنسان ويثاب عليه أيضا، فسوف يجني فائدة مزدوجة،

فنظر شيخ إلى رأيي باحترام وعهدت إلى زوجته مهمة رضاعة الصاحبزاده نصير أحمد. وفي هذا الخصوص سأل المسيحُ الموعود عليه السلام خلال تبادل الحديث كم يتقاضى شيخ محمود نصيب من الراتب، فلما علم أنه يأخذ اثنتي عشرة روبية فقط، أحس أن العيش يصعب عليه بهذا الراتب القليل، مع أن الزمن كان قليل النفقات، إلا أن حضرته أحس بذلك فرمى ذات يوم أثناء المرور من غرفته صرة تحتوي على عشرين أو خمس وعشرين روبية، فلم يعرف شيخ من أين جاء هذا المال، وأخيرا اكتشف أن حضرته وضعه هناك إحساسا بضائقته المالية، لئلا يتضايق ويعيش براحة. فاستخدم ذلك المبلغَ لشراء الحلي، لأن حاجات الأكل والشرب له كانت تُسد من مائدة المسيح الموعود عليه السلام الواسعة.

يقول حضرة شيخ يعقوب علي نفسه: إذا كان من عادة حضرته ألا يرد السائل قط، ففي الوقت نفسه كان من دأبه أن يشعر بحاجات بعض الناس ويساعدهم قبل أن يسألوا، فقبل الفجر في ١٩٠٤/١٠/٢٨ أعطى مبلغا بقدر ثماني أو عشر روبيات مهاجرا مخلصا، قائلا لقد حل الشتاء فلعلك تحتاج للثياب، ولم يكن أي سؤال منه، بل قد أحس حضرته بنفسه وقدم له هذا المبلغ، وهذا لم يحدث مرة واحدة فقط، بل قد حدث عدة مرات، إذ كان دوما يساعد ذوي الحاجة سرا، بغض النظر عن كون المحتاج صديقه، أو عدوه، هندوسيا أو مسلما.

يقول حضرة شيخ يعقوب علي رضي الله عنه: كان مما اعتاده سيدُنا المسيح الموعود عليه السلام أنه إذا شعر بأن أحدهم يحتاج المساعدة، ساعده من تلقاء نفسه دون أن ينتظر منه السؤال أو الإظهار. فعن ذلك يقول شيخ فتح محمد المحترم المفتش المتقاعد في ولاية كشمير وهو يزور حضرته عليه السلام منذ مدة طويلة: كلما أتيت حضرتَه وجدته مستعدا لدفع أجرة سفري، ولما لم أكن أحتاج لذلك، لم آخذ منه قط، لكن سخاء حضرته وكرمه كان عظيما لدرجة كان يقدم دوما دون استفسار، وهذه المعاملة لم تكن تخصني أنا وحدي، بل كان يعطي أكثرهم دوما، كان بعض الناس يأتون من الشام وبلاد العرب، وكان يقدم لهم أحيانا مبالغ كبيرة لنفقات السفر لعلمه أنهم جاؤوا من بلاد بعيدة.

كذلك يقول شيخ يعقوب علي المحترم: كان كثيرا ما يأتي السائلون ولا يسألونه علنا، بل كانوا يرسلون له رسالة، ولم يكن أحدنا يعرف ماذا سأل، وعندما كان حضرته يرسل شيئا من الداخل للسائل فكنا نعرف ذلك أو إذا كان في المجلس ودخل البيت قائلا اجلس هنا سآتيك بعد قليل، وكان بعض الناس يجلسون لأن حضرته سيعود، وعندها كانوا يعرفون أنه أحضر طلبَ السائل من النقود أو الثياب.

يقول حضرة منشي ظفر أحمد رضي الله عنه: كان ميان جي نظام الدين الأحمدي من سكان كبورتهله رجلا فقيرا معدما، فقد ذهب إلى قاديان مشيا، وقدم لحضرته هدية آنتين، فاستلمهما منه حضرتُه قائلا جزاكم الله، وبعد بضعة أيام حين أراد السيد نظام الدين الوداع قال له حضرته، البثْ قليلا، ثم دخل البيت وأحضر سبع روبيات أو ثماني، وسلمها لنظام الدين.

يقول حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ أن منشي ظفر أحمد الكبورتهلوي كتب إلي في رسالة، أن منشي علي غوهر المحترم كان موظفا في مكتب البريد، وتقاعد على روبيتين ونصف، وبعد التقاعد كان يعاني الضائقة المالية الشديدة، فعاد إلى بيته في جالندهر، ومن هناك أرسل لي رسالة كتب فيها، إذا ذهبتَ إلى قاديان فاصطحبْني أنا أيضا، فكان أحمديا مخلصا، ثم حين أردتُ الذهاب إلى قاديان ذهبت إلى جالندهر لأصطحبه، وكان متواضعا ومضيافا. فأعدَّ لي طعامًا فاخرًا. فعلمتُ فيما بعد أنه باع بعض الأواني لإعداد هذه الضيافة. (هكذا كان هؤلاء الصحابة الذين تربوا على يده عليه السلام) وكنت على علم بظروف منشي علي غوهر المادية، فاشتريتُ بنفسي تذكرة القطار له أيضا. فأصرَّ على دفع أجرها كثيرا، فقلتُ له: حسنًا، قدّمْ هذا المبلغ هديةً لحضرته عليه السلام. فأهدى روبيتين إلى حضرته عليه السلام. ومكثنا عنده ثمانية أو عشرة أيام، ولما ذهبنا إليه نستأذنه بالعودة أذنَ لنا، وقال لمنشي علي: «انتظرْ قليلاً». ثم جاء بعشر روبيات أو خمس عشرة روبية وأعطاه إياها. فبكى المنشي وقال: سيدي، هل عليّ أن أخدم حضرتك، أم آخذ منك؟. فأمرني عليه السلام وقال: «إنه صديقك، فانصحْه». فقلتُ له خُذْها، فإن فيها بركة. فأخذ الروبيات التي آتاه المسيح الموعود عليه السلام ورجعنا. وهذا مع أنه عليه السلام لم يكن يعلم بوضع المنشي مطلقًا.

وكتب حضرة المنشي ظفر أحمد صاحب الكفورثلوي ﷺ: كان المسيح الموعود عليه السلام شديد الحرص على صنع المعروف بخُدَّامه، وكان يقوم بكل أنواع التضحية والإيثار لأجلهم. ففي يوم عيدٍ من الأعياد كانت عمامتي غير نظيفة، ذلك لأننا كنا نحضر إلى قاديان لنمكث يوما أو يومين بصعوبة بسبب قلة الإجازة، ولكن المسيح الموعود عليه السلام كان يأمرنا ويقول: "امكثوا هنا لبضعة أيام"، فكنا نمكث عنده دون أن نفكر في العودة إلى الوظيفة. وهكذا حضرنا هنا ذات مرة وجاء يوم العيد، وكانت معي عمامة واحدة، فاتّسخت بكثرة اللبس، فأردتُ أن أذهب إلى السوق وأشتري واحدة. وبينما أنا ذاهب إلى السوق رآني المسيح الموعود عليه السلام فقال لي بما أعطاه الله من فراسة خارقة: «إلى أين أنت ذاهب؟». قلتُ: اليوم يوم العيد، وعمامتي متسخة، وأنا ذاهب إلى السوق لأشتري واحدة. فلم يلبث أن نزع عمامته الشريفة وهو واقف هناك وأعطاني إياها وقال: «هذه تعجبك؟ خذها، وسألبس أنا أخرى». لا أستطيع أن أصف بالكلمات ما تركت هذه المحبة والشفقة فيّ مِن وقع عظيم. فأخذتُ العمامة بمنتهى الاحترام، فذهب عليه السلام إلى البيت بلا تكلف، ولبس عمامة أخرى وعاد.

وروى حضرة ميان خير الدين السيخواني ﷺ: ذات مرة، وذلك قبل أن يعلن المسيح الموعود عليه السلام دعواه، كان أخوه الأكبر طلب بعض المعز من أجل وليمة زفافه، كان رجل من قرية "ننغل باغبانه" يرعاها. وذات يوم خرج عليه السلام للنزهة، فرأى في الطريق ذلك الراعي يرعى تلك الغنم، وكان معه ابنه الذي كان حافيَ القدمين. فنظر عليه السلام إليه وقال: «حبيبي، أنت تمشي حافيًا، ألا يؤذيك الشوك؟». قال: سيدي، ليس عندي حذاء، وأبي فقير لا يستطيع شراءه. فخلع عليه السلام من قدمه فردة من الحذاء وقال له: «البسْه، وانظر

هل هو بمقاسك». فاعتذر الفتى، وقال كيف أجرؤ على لبس حذائك؟ فأصرّ عليه المسيح الموعود عليه السلام وقال: «البسْه». فلبسه، فقال عليه السلام: «نعم، جيد، وهو بمقاسك». ثم خلع الفردة الثانية وقال: «البس هذا أيضًا». فلبسه. فسُرَّ عليه السلام وقال: «الآن تمام». ثم عاد عليه السلام إلى البيت حافي القدمين. وكان هذا حين كانت سنه العشرين أو الثلاثين تقريبًا.

كان المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام سخاءً متجسدا نتيجة تأسيه بأسوة سيده المحسن محمد ﷺ، غير أننا رأينا أنه كان أحيانا يمتنع عن إعطاء السائل لحِكمة ومصلحة. فقد كتب شيخ يعقوب علي عرفاني رضي الله عنه: كان عليه الصلاة والسلام مقيما في لودهيانه في عام ١٨٨٩م (سنة البيعة)، فجاء ذات يوم سائل وقال: لقد توفي أحد أقاربي، وليس عندي مال لتكفينه ودفنه. وكان السائل قد وضع في إناء بعض العملات الفضية والنحاسية ليوهم أنه قد جمع شيئًا من المال بسؤال الناس لتكفينه ودفنه، ولكنه ما زال بحاجة إلى المزيد. فقال المسيح الموعود عليه السلام لحضرة قاضي خواجة علي، وكان من كبار المخلصين الذين فدوا أنفسهم في سبيله عليه السلام: «حضرة القاضي، اذهبْ معه ودبّرْ له أمر التكفين والدفن». (أي أن هذا يقول ليس عنده ما يكفي لتكفين ودفن قريبه، فاذهب معه وتولَّ كل حاجة بهذا الشأن). مثل هذا التصرف لم يكن من عادة المسيح الموعود عليه السلام، بل كان يعطي السائل ما يسأل عموما، ورأينا منه هنا أمرا جديدا خلاف عادته، إذ كان يعطي السائل ما يراه مناسبا، فتعجب الخُدَّام من قوله هذا. ولم يسأله القاضي المحترم أيضًا: ماذا أعطيه؟، بل خرج مع السائل وقال له: تعالَ يا أخي، سأتولى أنا كل الترتيبات. فانصرف السائل مع القاضي. وبعد وقت قصير عاد السيد القاضي ضاحكًا وقال: سيدي، إنه كان محتالًا كبيرًا! فقد بدأ يتوسل إليَّ ويتملق لي في الطريق قائلًا: بحق الله لا تأتِ معي، بل أعطِني ما تريد إعطاءه. فقلتُ له: كلا، قد أُمِرْتُ بالذهاب معك بنفسي، فأعطِني ما عندك من المال، وسأتولى أنا ما يلزم من الباقي. فلما رآني لا أتراجع مدّ إليّ يديه متوسلا ونادمًا وقال: لا أحد مات، ولا حاجة لأي كفن ولا دفن، إنما هذه حرفتي، فلا تفضحْني، فارجعْ ودَعْني، ولن أعود إلى هذا بعد اليوم. (هكذا يكون بعض السائلين) فلما قص القاضي هذه القصة ضحك الحاضرون طبعًا، ولكن فراسة المسيح الموعود المؤمنة وأخلاقه أثرت فيهم أثرًا عجيبًا، حيث لم يرفض سؤاله محسنا الظن به، لكنه اتبع أسلوبا حكيما أدى إلى إصلاح الرجل، ولم يبق به عليه السلام حاجة لإنفاق المال في غير محله.

لقد ذكر المسيح الموعود عليه السلام نفسُه هذا الواقعة أو واقعة مماثلة لها حيث قال: "جاءني في لدهيانه متسول وتظاهر أن شخصا قد مات وهو يجمع النقود لكفنه، وأنه ينقصه رُبع روبية. فقال أحد الحضور: يجب أن نعلم أولا أين ذلك الميت ثم نساعده مساعدة كاملة. فذهب ذلك الشخص مع المتسول، فسار به المتسول ثم بعد قليل هرب، لأنه كان قد لفّق القصة كلها".

وصلتْ المسيحَ الموعود عليه السلام رسالة من مكان بأننا نريد بناء مسجد، ونريد منك شيئا من التبرع على سبيل التبرك. فقال عليه السلام: "إننا نستطيع أن نساهم في ذلك، فهذا ليس بأمر كبير، ولكن هناك في جماعتنا مشاريع كبيرة وهامة جدا ننفق عليها، فالمساهمة في مثل هذه التبرعات إزاء مشاريعنا يبدو لنا إسرافا، فكيف نساهم في هذا العمل إذن؟ فالمسجد الذي يبنيه الله هنا هو "المسجد الأقصى"، وهو الأهم والأولى من غيره، ويجب على هؤلاء الآن أن يرسلوا الأموال من أجل تشييده وينالوا الأجر. إنما صديقنا الذي يقبل ما نقول، وليس الذي يقدّم قوله على قولنا".

ثم ضرب حضرته مثالا قائلا:

"ورد أن شخصا أتى الإمامَ أبا حنيفة وقال نريد بناء مسجد، فآتنا شيئا من المال لبنائه. فاعتذر الإمام وقال لا أستطيع أن أعطيكم لبنائه شيئا، مع أنه كان قادرا على أن يعطيه الكثير. فقال الرجل لا نسأل مالا كثيرا، بل آتِنا ولو قليلا جدا على سبيل البركة. فآتى عملةً معدنية صغيرة قيمتها آنتانِ. وفي المساء رجع السائل بالآنتين وقال سيدي، إنهما زائفتان. فسُرّ الإمام جدًّا وقال نِعْمَ ما حصل، الواقع أنني ما كنتُ أريد إعطاءكم شيئا، لأن المساجد كثيرة، وأرى أن الإنفاق لبناء مسجد آخر إسراف وتبذير. فإنكم لا تصلون، ولكنكم تبنون المساجد رئاء الناس".

كان حضرة المسيح الموعود عليه السلام يعطي الأطفال أيضًا بحسب رغبتهم وطلبهم. فيقول حضرة مرزا بشير أحمد: روتْ بي بي راني الموصية، والدة عزيز بيغم زوجة حكيم محمد عمر من قاديان، قائلة: بايعتُ عن طريق الرسالة سنة ١٩٠١م. وكانت ابنتي عزيزة بيغم زوجة حكيم محمد عمر مقيمةً في قاديان، لذا رغبتُ في القدوم إلى قاديان سنة ١٩٠٢م. وكانت معي ابنتي الصغيرة أيضا. وعندما كان حضرته عليه السلام يخرج صباحًا في بعض الأوقات للنزهة نحو البستان، كنتُ أتبعه في أكثر الأحيان. وبسبب تقدّمي في السن وطول المدة، أنسى كثيرًا من الأمور، ولكن أمرًا أذكره جيدًا وهو: في صباح أحد الأيام، بينما كان حضرته عليه السلام يتناول الطعام، دخلتُ أنا أيضًا. فبدأت ابنتي الصغيرة تبكي. فسأل حضرته عن السبب، فقيل له: إنها تطلب الخبز. فأمر بإحضار خبز وأعطاها إياه، لكن الطفلة لم تتوقف، بل ظلت تبكي. فلما سأل حضرته عليه السلام مرة أخرى، قيل له: إنها تطلب الخبز الذي يأكله حضرته. فأعطاها حضرته الرغيف الذي كان يأكله. أخذت الطفلة ذلك الخبز القليل وتوقفت عن البكاء وبدأت تأكله.

كان حضرته عليه السلام، إذا أمر أحدًا بعمل، يراعي أيضًا راحتَه. يقول الدكتور عطر الدين:

كان مير محمد إسحاق طفلًا في ذلك الوقت، فخرج من البيت ولم يعد. فلما بلغ ذلك حضرة المسيح الموعود عليه السلام، أصبح قلقًا، فأرسل خادمًا إلى بيت الطلبة واستدعى أسرعَ الطلاب الذين يقيمون فيه. وكان أخي عبد الرحيم المسلم الجديد مدير بيت الطلبة في ذلك الوقت، فأرسلني مع ثلاثة أو أربعة من الفتيان، وجعلني قائد هذه البعثة. فلما وصلنا إلى حضرته، قال لنا بكثير من الشفقة: "لقد أتعبتكم كثيرًا،

ولكني اضطررت إلى استدعائكم، وسوف يتعين عليكم الذهاب لهذا العمل، فقد يطول بكم الوقت، وقد تضطرون إلى التجوال كثيرًا، وقد تجوعون". ثم أعطاني كمية كبيرة من الخبز وقال: هذه الأرغفة لكم، وأحضر بنفسه قَدرًا من طبيخ العدس، وأعطاه لنا، وقال: "لأنكم ذاهبون في البحث عن أحد، وقد تحتاجون إلى الطعام في الطريق". يقول الراوي: فلما استعددنا للانطلاق حضر شيخ يعقوب علي العرفاني في الوقت نفسه مرافقًا السيد مير محمد إسحاق، وهكذا فقد عُثر عليه وبالتالي لم نذهب. ولكن ظهرت بهذه الواقعة بوضوح رعاية حضرته عليه السلام لخدامه وشفقته عليهم.

يقول السيد محمد دين ابن السيد بهاغو، الذي كان يسكن في قرية قادر آباد المجاورة لقاديان: كثيرًا ما كان حضرته يحضر معه الطعام ونحوه من بيته إلى مسجد قريتنا، فيأكل منه، ويعطينا منه أيضًا.

وفيما يتعلق بضرورة ردّ الدّين المأخوذ من الزوجة، فقد ذكرت في الخطبة السابقة واقعة أن نفقات دار الضيافة قد زادت مرة، فباع المسيح الموعود عليه السلام بعض حلي حرمه حضرة أمان جان رضي الله تعالى عنها ليغطي النفقات. فسألني أحدهم الأسبوع الماضي: هل يعني ذلك أنه يجوز للزوج حق التصرف في حلي الزوجة عند الحاجة؟

فليكن واضحًا أن حضرة المسيح الموعود عليه السلام كان يستدين وكان دائمًا يرد هذا الدين. وفي هذا الصدد هناك رواية أخرى. يقول حضرة مرزا بشير أحمد:

روت السيدة رسول بي بي، أرملة حضرة حامد علي، وقالت: عندما وقع القحط استدان المسيح الموعود عليه السلام مالًا من حضرة أم المؤمنين. وفي المثال السابق أيضا ذُكر القرض أو الرهن، فلمّا فكّ الرهن كان قد أدى حضرته مبلغ القرض بنفسه. على كل حال، اقترض حضرته المال واشترى به القمح، وقام بتدبير نفقات البيت، ونفقات دار الضيافة أيضًا. علمًا أنها لم تكن نفقات بيته الخاصة، بل لدار الضيافة لأن الطعام كلّه كان يُطبخ في بيته. ثم طلب حضرته بواسطة شودري رستم علي والحافظ حامد علي خمسمائة روبية، وطلب بعض جرات السمن البلدي. فلما وصل المال، ردَّ عليه السلام قرض حضرة أم المؤمنين.

ويقول الراوي: رأيتُ مرارًا أن الحافظ حامد علي كان يأتي بأكياس مليئة بالروبيات. وذلك لأنه في أيام القحط كانت حاجة الناس شديدة، فكنتُ أضطر لحراسة تلك الأكياس ليلاً، وكان ذلك قرضًا أو مساعدة من قبل الناس. على أي حال، كان حضرته يستدين وكان يردّ الدَّين دائمًا سواء أكان دَين حضرة أم المؤمنين أو غيرها.

يقول حضرة بابو غلام محمد:

كانت النساء القرويات في قاديان يحضرن أحيانًا إلى حضرته عليه السلام –وأيديهن ملوّثة بالروث، وثيابهن وسخة أيضا– فتقول إحداهن: حضرة المرزا! ابنتي مريضة، فإنها لا تفيق، لأنها مصابة بالحمى الشديدة، ثم تشير إلى يديها قائلة: انظر إلى حالة الطوارئ حيث لم نغسل أيدينا وجئنا.

وفي إحدى المرات جاءت امرأة ويداها كانتا متسختين بالروث والقذارة، لأنها نهضت من عملها التي كانت تعمله وأتت إلى حضرته، وقالت: ابنتي مريضة، وبها حمى شديدة، وهي فاقدة الوعي تمامًا. فسألها حضرته قائلا: "هل أحضرتِ معكِ إناءً؟". فأخرجت بيدها الملوثة بالروث قدحًا من الطين وقدمته إلى حضرته. فأخذ عليه السلام القدح وملأه بماء الورد، ثم أعطاها شيئًا من المسك، وقال: "أعطي بنتك نصف الكأس من هذا الماء مرتين مع هذا الدواء". أي المسك. وأضاف قائلا: "أخبريني بعد ذلك بحال البنت".

فكان حضرته يعامل الفقراء أيضًا بكثير من الإحسان والعطاء.

يقول حضرة الشيخ محمود نصيب:

في إحدى المرات احتجتُ إلى مال، فكتبتُ إلى حضرته أن يبعث إليَّ بعشرة روبيات كقرض، على أن أردَّها في قسطين. فأرسلها حضرته إليَّ.

وكان هذا من عادته عليه السلام؛ إذ لم يكن يردُّ سائلًا قط، وقد رأينا أيضًا أنه لم يكن يطالب أحدًا بردِّ ما أعطاه، بل إذا أعاد إليه أحدٌ المال قال له: "لا، إن مالي ومالك واحد، فاحتفظ به عندك". وكانت هذه عادته.

ومن الوقائع الدالة على البركة في الطعام ما كتبه السيد مرزا بشير أحمد رضي الله عنه، حيث قال السيد ميان عبد الله السنوري: دعا المسيح الموعود عليه السلام ذات مرة عددًا من الضيوف، وأُعِدَّ لهم الطعام في البيت، ولكن حين حان وقت الطعام حضر عدد آخر من الضيوف، حتى امتلأ المسجد المبارك بهم، وكان مسجدًا صغيرًا. فأرسل حضرته أحدا إلى داخل البيت وقال له: "لقد جاء ضيوف آخرون، فأرسلوا طعامًا أكثر". ولم يكن من الممكن أن يأتي الناس إلى مائدته، فيأكل بعضهم ويُحرم الآخرون؛ فهذا كان مخالفًا لطبيعته الكريمة ولجوده. فقد كان مصممًا على أن يُطعم الجميع.

فاستدعت أم المؤمنين المسيحَ الموعود عليه السلام إلى داخل البيت، وقالت له: إن الطعام قليل، وقد أُعِدَّ فقط لأولئك الضيوف الذين أخبرتَ عنهم من قبل، ولعلنا نستطيع أن نُدبِّر بقية الطعام بطريقة ما، أما الزَردة[1] فهي قليلة جدًا، فماذا نصنع بها؟ ثم قالت من تلقاء نفسها: لن أرسل الزردة، وإنما سأخرج بقية الطعام.

فقال المسيح الموعود عليه السلام: "لا، هذا غير مناسب، أحضري إليَّ إناء الزردة". فلما أُحضر الإناء وضع عليه منديلًا، ثم أدخل يده تحت المنديل وغمس أصابعه في الزردة، ثم قال: "الآن قدِّموا الطعام للجميع، فإن الله سيبارك فيه".

فيقول السيد ميان عبد الله: قُدِّمت الزردة للجميع، فأكل منها كل الحاضرين، ومع ذلك بقي منها شيء. وأضاف السيد ميان عبد الله أن المسيح الموعود عليه السلام هو الذي قصَّ عليه بنفسه ما جرى داخل البيت، وكيف أنه عندما أُخبر بقلة الطعام تصرف بهذه الطريقة، فبارك الله تعالى في الطعام.

---

[1] الزردة: حلوى تقليدية تحضر من الأرز المطبوخ مع السكر والزعفران والهيل وما إلى ذلك.

وكان حضرته عليه السلام أيضًا يُقدِّم لأصحابه الفواكه الموسمية بكل بساطة ومن غير تكلف، فقد كان عطاؤه دائمًا مستمرًا.

ويروي السيد ممتاز علي الصديقي قائلًا: أذكر أن في البستان مصطبة، وقد أُعيد بناؤها فيما بعد، وكان المسيح الموعود عليه السلام يجلس فيها مع أصحابه، وكانوا أحيانًا يتناولون هناك الفواكه الموسمية. وأذكر مرةً أن حضرته تفضَّل عليَّ بثمرتي مانجو بيده المباركة، وكذلك أعطى كل واحد من بقية الأصحاب ثمرتي مانجو. فهذه نماذج من وقائع جوده وإحسانه، وقد أظهرها نتيجةً لاتباعه الكامل لسيده النبيّ الكريم ﷺ ، وقد انتفع من هذا الإحسان والكرم القريبون منه وغيرهم، بل أعداؤه أيضًا.

******